التّقديم والتّأخير

قراءة نحويّة بلاغيّة في مشهدي الليل والخيل

من معلّقة امرئ القيس

الباحث: د. عبد اللطيف ياسين سليمان*

ملخّص

يقسم البحث إلى قسمين: قسم نظريّ، وآخر تطبيقيّ، يُعرّج القسم النّظريّ على دراسة التّقديم والتّأخير في اللغة والاصطلاح، وذكر بعض مواضعه، والتّدليل على أغراضه ودواعيه، أمّا الجانب التّطبيقيّ فيتناول بالتّحليل أبياتاً من معلّقة امرئ القيس، من مشهدي الليل والخيل، محاولاً تقديم قراءة نحويّة بلاغيّة لهذه الأبيات، وتحليلها وفقاً لهذه الظّاهرة.

الكلمات المفتاحيّة: التّقديم والتّأخير، الليل، الخيل، امرؤ القيس، الانزياح.

* دكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها، من جامعة تشرين، سوريا، اختصاص البلاغة العربيّة والنّقد.

Abdallatif.suliman@tishreen.edu.sy

Submission and delay Rhetorical grammatical reading in the night and horse scenes From the pendant of Imru' al-Qais

Abdul Latif Yassin Suleiman

Summary

The research is divided into two parts: a theoretical section and an applied one. The theoretical section deals with the study of advancing and delaying in language and terminology, mentioning some of its places, and demonstrating its purposes and reasons. As for the practical part, it deals with analysis of verses from the commentary of Imru' al-Qays, from the scenes of the night and horses, trying to present a reading Rhetorical grammar of these verses, and their analysis according to this phenomenon.

Keywords: advance and delay, night, horse, Imru' al-Qais, displacement.

* PhD in Arabic Language and Literature, from Tishreen University, Syria, majoring in Arabic Rhetoric and Criticism.

Abdallatif.suliman@tishreen.edu.sy

مقدّمة:

لا شكّ في أنّ اللغة العربيّة تحتوي على ظواهر لغويّة ونحويّة كثيرة، ومنها ظاهرة التّقديم والتّأخير التي أولاها النّحاة والبلاغيّون اهتماماً واضحاً، لما لها من دلالات لغويّة؛ لأنّها خروج عن نظام اللغة المألوف، أو الطّبيعيّ، وهذا الخروج له دلالاته وأغراضه البلاغيّة التي تحقّق دلالات معنويّة إضافيّة.

أسباب البحث وأهمّيّته:

يكمن السّبب الرّئيس لهذا البحث في وجود رغبة كبيرة في إضاءة جانب من جوانب حيويّة اللغة العربيّة في التّعامل مع المفردات بالنّظر إلى علاقات الإسناد، وبالرّجوع إلى ظاهرة الإعراب، وقد وقع الاختيار على الشّاعر الجاهليّ (امرئ القيس)؛ لعنايته بشدّة التّصوير، وانزياح التّركيب والنّظم، وما يتولّد عن ذلك من شعريّة ملموسة في النّصّ.

منهج البحث:

إنّ المنهج الوصفي الاستقرائيّ هو المنهج المُتّبع في هذا البحث لما يُوفّره من إمكانات كبيرة في تقصّي الظّاهرة المدروسة، وتتبّع جزئيّاتها، ومعرفة خفاياها على الصّعيد النّظريّ، وعلى المستوى التّطبيقيّ الإجرائيّ في آنٍ واحد.

أوّلاً: التّقديم والتّأخير لغة واصطلاحاً:

1- لغة:

إذا ما وضعنا مفهوم التّقديم والتّأخير في حقل اللغة، فإنّنا نرى (قدم) في أسماء الله تعالى، المُقدَّم: هو الذي يُقدّم الأشياء، ويضعها في مواضعها، فمن استحقّ التّقديم قدّمه. والقدَمُ: نقيضُ الحدوثُ. والقدم والقُدمة: السّبقة في الأمر. قال ابن بري: القدم التّقدُّم[1].

[1] يُنظر: ابن منظور. لسان العرب، مادّة (قدم).

أخر: في أسماء الله تعالى، الآخر والمُؤخّر، فالآخر هو الباقي بعد فناء خلقه كلّه، والمُؤخّر هو الذي يُؤخّر الأشياء فيضعها في مواضعها، وهو ضدّ المُقدَّم. تقول: مضى قُدُماً، وتأخّر أُخراً، والتّأخّر ضدّ التّقدّم، وقد تأخّر عنه تأخّراً وتأخرة واحدة. وفي التّنزيل ﴿**لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[1]، وأخّرته فتأخّر واستأخر كتأخّر[2].

2- اصطلاحاً:

أمّا في المعنى الاصطلاحي، فالتّقديم والتّأخير: تغيير مواضع الألفاظ في الجملة تغييراً يُخالف التّرتيب النّحويّ المألوف؛ لغرض بلاغيّ كالقصر، وإظهار الاهتمام، مثال ذلك: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[3] .

التّقدّم أي وضعه أمام غيره، والتّأخير نقيض ذلك، وتحدّث الزّركشي عن التّقديم والتّأخير، فقال: "هو أخذ أساليب البلاغة، فإنّهم أتوابه دلالة على تمكّنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق" [4].

وباب التّقديم والتّأخير واسع؛ لأنّه يشمل كثيراً من أجزاء الكلام، فالمُسند إليه يُقدّم لأغراض بلاغيّة، منها: أنّه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، المبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها[5].

---

[1] سورة الأعراف، الآية 34.

[2] يُنظر: ابن منظور. لسان العرب، مادّة (أخر).

[3] وهبة، مجدي؛ المهندس، كامل. معجم مصطلحات الأدب، ص17. والآية من سورة الفاتحة، الآية 5.

[4] مطلوب، د. أحمد. معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، ص404.

[5] يُنظر: المرجع السّابق، ص404.

ثانياً: بعض مواضع التّقديم والتّأخير:

1- تقديم الفاعل وتأخيره:

يُقدّم الفاعل على المفعول إذا كان لغرض معرفة وقوع الفعل ممّن وقع منه، لا وقوعه على من وقع عليه، كما إذا كان رجل ليس بأسٍّ، ولا يقدر فيه أن يقتل، فقتل رجلاً، وأراد أن تخبر بذلك، فتقول: "قتل فلانٌ رجلاً"، بتقديم القاتل؛ لأنّ الذي يعني النّاس من شأن هذا القتل ندوره وبُعده عن الظّنّ، ومعلومٌ أنّه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه، بل من حيث كان واقعاً ممّن وقع منه[1].

ولا يصحّ التّأخير لأنّ في ذلك إخلالاً ببيان المعنى، كقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ**﴾[2]، فإنّه لو أخّر (من آل فرعون) عن (يكتم إيمانه) لتوهّم أنّ (من) متعلّقة بـ (يكتم)، فلم يُفهم أنّ الرّجل من آل فرعون[3].

ونرى من فائدة هذا الباب أنّ تقديم الفاعل يُفيدنا بمعرفة من قام بالفعل، والتّناسب من كرعاية الفاصلة، نحو: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾[4]، وإمّا لاعتبار آخر مناسب.

2- تقديم المفعول على فعله:

والغاية منه ردّ الخطأ في التّعيين، نحو قوله: (زيداً عرفت)، لمن اعتقد أنّك عرفت إنساناً أنّه غير زيد، ويقول لتأكيده وتقريره: (زيداً عرفت لا غيره)، ولذلك لا يصحّ أن يقال: (ما زيداً ضربت ولا أحداً من النّاس)، لتناقض دلالتي الأوّل والثّاني، ولا أن تعقب الفعل المنفيّ بإثبات ضدّه، نحو قولك: (ما زيداً ضربت ولكن أكرمته)، لأنّ مبنى

[1] يُنظر: القزويني، الخطيب جلال الدّين. الإيضاح في علوم البلاغة، ص118-119.
[2] سورة غافر، الآية 28.
[3] يُنظر: القزويني، الخطيب جلال الدّين. الإيضاح في علوم البلاغة، ص119.
[4] سورة طه، الآية 67.

الكلام ليس على الخطأ في الضّرب، فتردّه إلى الصّواب في الإكرام، وإنّما هو على الخطأ في المضروب حين اعتقد أنّه زيدٌ، فردّه إلى الصّواب أن تقول: (ولكن عمراً) [1].

وكذلك إذا قلت: "(بزيد مررت)، أفاد أنّ سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيدٍ، فأزلت عنه الخطأ مخصّصاً مرورك بزيدٍ دون غيره"[2].

ونحو قولك: "(زيداً عرفته)، فإنّ قدِّر المفسّر المحذوف قبل المنصوب؛ أي: عرفت زيداً، فهو من باب التّوكيد، أي تكرير اللفظ، وإن قدّر بعده؛ أي: زيداً عرفت عرفته، أفادا التّخصيص" [3].

ونرى من هذا الباب ردّ الخطأ في التّعيين، بما يفيد ذلك في التّخصيص، والتّخصيص في غالب الأمر لازم للتّقديم.

3- التّقديم والتّأخير مع النّفي:

وإذا أردنا الدّخول في باب النّفي في مجرى بحثنا هذا، لرأينا أنّ التّقديم والتّأخير له دور كبير في إثبات النّفي، فعندما نقدّم الاسم في حالة النّفي فلا بدّ من وجود فعل معه، نحو قول المتنبّي:

وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

والمعنى كما لا يخفى على أحد أنّ السّقم ثابتٌ موجود، وليس القصد بالنّفي إليه، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جرّه إلى نفسه[4]، ومثله في الوضوح قوله:

---

[1] القزويني، الخطيب جلال الدّين. الإيضاح في علوم البلاغة، ص119.

[2] القزويني، الخطيب جلال الدّين. الإيضاح في علوم البلاغة، ص116.

[3] المصدر السّابق، ص116.

[4] يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ص124-125.

وما أنا وحدي قلتُ ذات الشّعر كلّه ولكن لشعري فيك من نفسه شعرُ

الشّعر مقول على القطع، والنّفي لأن يكون هو وحده القائل له، وههنا أمران يرتفع معهما الشّكّ في وجوب هذا الفرق، ويصير العلم به كالضّرورة، أحدهما: أنّه يصحّ لك أن تقول: (ما قلت هذا، ولا قاله أحد من النّاس)، و (ما ضربت زيداً، ولا ضربه أحدٌ سواي)، ولا يصحّ ذلك في الوجه الآخر، فلو قلت: (ما أنا قلت هذا، ولا قاله أحد من الناس)، و (ما أنا ضربت زيداً، ولا ضربه أحد سواي) كان خلفاً من القول، وكان في التّناقض بمنزلة[1].

وتبدو فائدة هذا التّقديم والتّأخير مع النّفي في اقتضاء وجود الفعل.

4- التّقديم والتّأخير في الخبر المُثبت:

إنّ هذا الرّأي بان لنا في النّفي من المعنى في التّقديم والتّأخير، قائم مثله في الخبر المثبت، فإذا عمدنا إلى الذي أردنا أن نتحدّث عنه بفعل، فقدّمنا ذكره، ثمّ بنينا الفعل عليه، فقلنا: زيدٌ قد فعل، وأنا فعلت، وأنت فعلت، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل، إلّا أنّ المعنى في هذا الصّدد يقسم إلى قسمين:

- **أحدهما جليّ:** وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنصّ فيه على واحد، فتجعله له، وتزعم أنّه فاعله دون واحد آخر أو دون كلّ أحد، ومثالنا البيّن في ذلك قولهم في المثل: "أتعلمني بضبٍّ أنا حرشتُه" [2].
- **والقسم الثاني:** أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على أنّك أردت أن تحقّق على السّامع أنّه قد فعل، وتمنعه من الشّكّ، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوقّعه أوّلاً، ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه، لكي تباعده بذلك من الشّبهة، وتمنعه من الإنكار، أو من يظنّ بك الغلط أو التّزيّد، ومثاله في الشّعر قول الأخنس بن شهاب التّغلبيّ:

[1] المصدر السّابق، ص125.

[2] الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ص128.

هـم يضـربُون الكـبش يَبْـرُقُ بيضـهُ علـى وجهـهِ مـن الـدّماء سـبائبُ[1]

لم يرد أن يدّعي لهم الانفراد، ويجعل هذا الضّرب لا يكون إلّا منهم، ولكن أراد الذي ذكرت لك من تنبيه السّامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث، ليُحقّق الأمر، ويُؤكّده [2].

وفائدة ذلك كلّه تخصيص الفعل على فاعل من دون غيره، وإبعاد الشّكّ عن السّامع.

وتعقيباً لنا على هذا المبحث، نرى أنّ المُسند إليه يُؤخّر ذلك إذا اقتضى المقام تقديم المُسند، وأنّ كلّ تقديم يختصّ بفائدة، ولا تكون الفائدة مع التّأخير.

ثالثاً: الأغراض والدّواعي البلاغيّة التي تُوجب التّقديم والتّأخير:

لا شكّ في أنّ بلاغة التّقديم والتّأخير في النّظم ترجع إلى المعاني والأغراض التي يؤدّيها، ولعلّ باب التّقديم والتّأخير كلّه يقوم على هذا الأساس، ومن المُسلّم به أنّ الكلام يتألّف من كلمات وأجزاء، وليس من الممكن النّطق بأجزاء أيّ كلام دفعة واحدة، ومن أجل ذلك لا بدّ عند النّطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر، وفي مبحثنا هذا يمكن أن نذكر أهمّ الدّواعي والأغراض البلاغيّة التي تُوجب التّقديم والتّأخير في الكلام، ويمكن أن نردف هذا المبحث بما يُسمّى بالانزياح التّركيبيّ الذي كثيراً ما يتمثّل في باب التّقديم والتّأخير، علّنا نؤطّر له ونعرف حدود آليّة استعمالاته اللغويّة.

أمّا الأغراض البلاغيّة التي تُوجب التّقديم والتّأخير :

1- التّشويق إلى المُتأخّر إذا كان المُتقدّم مُشعراً بغرابة، نحو قول الشّاعر:

ثلاثـــةٌ تُشـــرق الـــدّنيا ببهجتهـــا شـمس الضّـحى وأبـو اسـحق والقمـر

فهنا قدّم المُسند إليه وهو (ثلاثة)، واتّصفت بصفة غريبة تشوّق النّفس إلى الخبر المُتأخّر، وهي (تشرق الدّنيا ببهجتها)، فإشراق الدّنيا أمر يشوّق النّفس إلى أن

[1] الكبيش: قائد القوم. سبائب: جمع سبيبة يعني على وجهه طرائق من الدّم.

[2] يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ص128-130.

تعرف هذه الأشياء الثّلاثة التي جعلت الدّنيا بحسنها تتألّف وتضيء، فإذا عرفت النّفس ذلك تمكّن الخبر المُتأخّر، واستقرّ[1].

2- تعجيل المسرّة أو تعجيل التّلذّذ أو المساعدة للتّفاؤل أو التّطيّر:

فالتّعجيل بالمسرّة نحو الجائزة الأولى في المسابقة كانت من نصيبك[2].

وتعجيل التّلذّذ من مثل قول جميل بثينة:

بثينــةُ مــا فيهــا إذا مــا تبصّــرت معــابٌ ولا فيهــا إذا نُسـبت أشـبُ[3]

والتّعجيل بالمساءة، نحو: الفشل أصيب به العدو، والخسائر في جيشه كبيرة، ونيران الأسلحة المختلفة تُطارد فلوله في كلّ مكان[4].

3- كون المُتقدّم محطّ الإنكار والتّعجّب، نحو قوله تعالى: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[5].

فإنّما قدّم خبر المبتدأ في قوله (أراغبٌ) أنت، وذلك لأهمّيّة المُتقدّم، وشدّة العناية به، وفي ذلك ضربٌ من التّعجّب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته، وأنّ آلهته لا ينبغي أن يُرغب عنها، وهذا

بخلاف ما لو قال: (أأنتَ راغبٌ عن آلهتي)[6].

4- النّصّ على عموم السّلب أو سلب العموم:

فالنّصّ على عموم السّلب يعني شمول النّفي لكلّ فرد من أفراد المُسند إليه[7].

---

[1] يُنظر: عتيق، د. عبد العزيز. علم المعاني البيان البديع، ص133-134.

[2] يُنظر: المرجع السّابق، ص134.

[3] العاكوب، د. عيسى. المفصّل في علوم البلاغة العربية المعاني البيان البديع، ص139.

[4] عتيق، د. عبد العزيز. علم المعاني البيان البديع، ص134.

[5] سورة مريم، الآية 46.

[6] عتيق، د. عبد العزيز. علم المعاني البيان البديع، ص134.

[7] المرجع السّابق، ص135.

وعموم السّلب يكون بتقديم أداة العموم ككلّ، وجميع على أداة النّفي، نحو: كلّ ظالم لا يفلح، المعنى لا يفلح أحد من الظّلمة[1].

فالكلام يعيد شمول السّلب أو النّفي لكلّ فرد من أفراد المُسند إليه المُتقدّم.

5- تقوية الحكم وتقريره:

وذلك كقولك عن شخص كريم: (هو يعطي الجزيل)، فأنت لا تريد أنّ غيره يعطي الجزيل، ولا أن تعرّض بإنسان آخر يعطي القليل، ولكن تريد أن تقرّر في ذهن السّامع، وتحقّق أنّه يفعل إعطاء الجزيل، فتقديم المُسند إليه (هو) وتكريره في الضّمير المستتر في (يعطي) أدّى إلى تقوية الحكم وتقريره[2].

6- التّخصيص:

هذا يعني أنّ المُسند إليه قد يُقدّم ليُفيد تخصيصه بالخبر الفعليّ شرط أن يكون مسبوقاً بحرف نفي، نحو قول الشّاعر:

وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

فسقم الجسم بالحبّ، وإضرام النّار في القلب كلاهما ثابت موجود، ولكن قصرها وتخصيصهما بالمُسند إليه المُتقدّم (أنا) قصد به نفي كون المُتكلّم هو السّبب في سقم جسمه، وإضرام النّار في قلبه، وإثبات السّبب لغيره كالحبيب مثلاً[3].

وكقولك: (ما أنا قلت هذا) أفاد تقديم المُسند إليه (أنا) نفي الفعل عن المُتكلّم، وأفاد أيضاً ثبوت هذا الفعل لغير المُتكلّم[4]، ومنه في الذكر الحكيم قوله سبحانه: ﴿**وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ**﴾[5].

---

[1] الهاشمي، د. أحمد. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص91.

[2] يُنظر: عتيق، د. عبد العزيز. علم المعاني البيان البديع، ص135.

[3] يُنظر: المرجع السّابق، ص135-136.

[4] العاكوب، د. عيسى. المفصّل في علوم البلاغة العربيّة، ص139.

[5] سورة غافر، الآية 31.

والتّخصيص في غالب الأمر لازم للتّقديم، ولذلك يقال في قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[1]، معناه نخصّك بالعبادة، لا نعبد غيرك، ونخصّك بالاستعانة لا نستعين غيرك[2].

7- التّنبيه على أنّ المُتقدّم خبر لا نعت:

وذلك خاصّ بتقديم الخبر المُسند على المبتدأ المُسند إليه[3]، نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾[4].

وتجدر الإشارة إلى أنّ تقديم المسند إليه هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، نحو قولك: محمّد رسول الله، فالمُسند إليه (محمّد) مُقدّم؛ لأنّ تقديمه هو الأصل، ذلك أنّه هو المحكوم عليه بالرّسالة، وينبغي تقديم ذكره[5].

ولا بدّ لنا في ذكرنا باب التّقديم والتّأخير أن نعرّج على جانب مهمّ يُبرز لنا في سياق حديثنا عن هذا الباب، ويتمثّل هذا الجانب بما يُسمّى بالانزياح التّركيبيّ، ولا بدّ أنّه يتقاطع مع أغراض ودواعي التّقديم والتّأخير.

ويحدث مثل هذا الانزياح من خلال طريقة في الرّبط بين الدّوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة، أو في التّركيب والفقرة، والمبدع الحقّ هو من يمتلك القدرة على تشكيل اللغة جماليّاً، بما يتجاوز إطار المألوفات[6].

ومهما يكن من أمر، فإنّ الانزياحات التّركيبيّة في الفنّ الشّعريّ يتمثّل أكثر شيء في التّقديم والتّأخير.

---

[1] سورة الفاتحة، الآية 5.

[2] يُنظر: القزويني، الخطيب جلال الدّين. الإيضاح في علوم البلاغة، ص116-117.

[3] عتيق، د. عبد العزيز. علم المعاني البيان البديع، ص137.

[4] سورة البقرة، الآية 36.

[5] ينظر: العاكوب، د. عيسى. المفصّل في علوم البلاغة العربيّة، ص137.

[6] يُنظر: ويس، د. أحمد. الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، ص120.

فالمبدع يجد نفسه أمام متّسع لكثير من ألوان التّصرّف من دون أن يخشى لبساً وإخلالاً بالدّلالة، بل إنّ هذا الغنى في التّراكيب له ميزة تجعل المبدع أكثر وفاء لأداء ما تودّ النّفس أداءه.

وواضح أنّ التّقديم والتّأخير وثيق الصّلة بقواعد النّحو حتّى إنّ (جون كوهين) سمّى الانزياح النّاتج من التّقديم والتّأخير (الانزياح التّركيبي)، حتّى إنّه يتّخذ من النّثر العلميّ معياراً يقيس عليه انزياح اللغة الشّعريّة، وقد درس (كوهن) الانزياح النّحويّ تحت مُسمّى القلب، فدرس التّقديم والتّأخير الذي يحصل في الصّفات.

ويبدو أنّه على الرّغم اهتمامه بالحديث عن القلب لم يكن مقتنعاً به كثيراً، وإنْ يكن انزياحاً، بيدَ أنّه على ما يرى، انزياح غير مثير[1].

د. أحمد ويس يعلّق على كلام جون كوهين السّابق؛ إذ يقول: "والحقّ أنّ تعليل كوهن لشاعريّة التّقديم والتّأخير، وإرجاعها إلى مجرّد مخالفته الاستعمال الشّائع تعليل صحيح، لكنّه غير مكتمل، ذلك بأنّ المخالفة وحدها غير كافية لتوليد الشّاعريّة، ولا بدّ إذن من أن تكون من وراء المخالفة قيمٌ فنّيّة وجماليّة" [2].

ونحن نرى أيضاً في هذا المبحث أنّ توليد الشّاعريّة لا يتأتّى فقط من وراء الانزياح التّركيبيّ وحده، بل لا بدّ من أن تتماشى مع آليّة توظيف أغراض التّقديم والتّأخير.

[1] يُنظر: ويس، د. أحمد. الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، ص122-124.

[2] المرجع السّابق، ص125.

رابعاً: أنموذج تطبيقيّ قراءة نحويّة بلاغيّة من مشهدي الليل والخيل لامرئ القيس:

يقول امرؤ القيس[1]:

ولـيـلٍ كمـوج البحـر أرخـى سـدوله ... علـيّ بـأنواع الهمـوم ليبتلـي

فقلـت لـه: لمّـا تمطّـى بصـلبه ... وأردف إعجـازاً ونـاء بكلكـلِ[2]

ألا أيّهـا الليـل الطّويـل ألا انجـلِ ... بصـبحٍ ومـا الإصـباح منـك بأمثـلِ

فيـا لـك مـن ليـلٍ كـأنّ نجومـه ... بكـلّ مغـار الفتـل شُـدّت بيـذبلِ[3]

كـأنّ الثّريـا عُلّقـت فـي مصـابها ... بـأمراسِ كتّـانٍ إلـى صُـمّ جنـدلِ[4]

* * *

وقـد أغتـدي والطّيـر فـي وُكناتهـا ... بمنجـردٍ قيـد الأوابـد هيكـلِ[5]

مكـرٍّ مفـرٍّ مُقبـلٍ مـدبرٍ معـاً ... كجلمـودِ صخرٍ حطّـه السّيل من علِ

كُميـتٍ يـزلّ اللبـد عـن حـال متنـه ... كمـا زلّـت الصّـفواء بـالمُتنزّل

علـى العقـب جيّـاشٌ كـأنّ اهتزامـهُ ... إذا جـاش فيـه حميـه غلـي مرجـل

مسـحٌ إذا مـا السّـابحات علـى الـونى ... أثـرنَ غبـاراً بالكديـدِ المُركّـل[6]

---

[1] امرؤ القيس. الدّيوان، ص117-122.

[2] تمطّى بصلبه: تمدّد بجسده. أردف إعجازاً: تابع أواخره بأوائله. ناء بكلكل: حطّ بصدره.

[3] مغار الفتل: الحبل المفتول جيّداً. يذبل: حبل.

[4] مصابها: ويروى في مصامها وكلاهما بمعنى موضعها ومكانها. أمراس كتّان: حبال مُحكمة الفتل من الكتّان.

[5] المنجرد: الفرس القصير الشّعر. الأوابد: الوحوش. الهيكل: الفرس الطّويل.

[6] الكديد: ما صلب من الأرض.

دريـــرٍ كخـــذروفِ الوليـــد أمـــرّهُ ... تقلّـــب كفّيـــه بخـــيط موصّـــل[1]

لـــه أيطـــلا ظبـــي وســـاقا نعامـــةٍ ... وإرخـــاء ســـرحان، وتقريـــبُ تتفـــلِ[2]

ضـليعٌ إذا مـا اسـتدبرته سـدّ فرجـهُ ... بضـافٍ فُويـقَ الأرضِ لـيس بـأعزلِ

فعـــنّ لنـــا ســـربٌ كـــأنّ نعاجـــه ... عـــذارى دوار فـــي مـــلاءٍ مـــذيّل

فـــأدبرنَ كـــالجزع المفصّـــل بينـــه ... بجيـــدٍ معـــمّ فـــي العشـــيرة مخـــول

فألحقنـــــا بالهاديـــــات ودونـــــه ... جواحرهـــا فـــي صـــرّة لـــم تزيّـــل[3]

فعـادى عـداءً بـين ثـور ونعجـة ... دراكـاً ولـم ينضـح بمـاءٍ فيغسـل

فظـلّ طهـاة الحـيّ مـن بـين منضـح ... صـــفيف شـــواء أو قـــدير معجّـــل

كـــأنّ دمـــاء الهاديـــات بنحـــره ... عصـــارة حنّـــاء بشـــيب مرجّـــل

وبـــات عليـــه ســـرجهُ ولجامـــهُ ... وبـــت بعينـــي قائمـــاً غيـــر مُرسـل

أصـاح تـرى برقـاً أريـك وميضـه ... كلمـــع اليـــدين فـــي حبـــي مكلّـــل[4]

قعـدتُ وأصـحابي لـه بـين ضـارج ... وبـين العـذيب بعـد مـا متـأمّلي[5]

عـلا قطنـاً بالشّـيم أيمـن صـوبه ... وأيســـره علـــى السّـــتار فيـــذبلِ[6]

---

[1] دريـر: كثير الدّرّ والانصباب في العدو. الخذروف: الخذرافة التي يلعب بها الصّبيان يمرّونها مرّاً شديداً فيسمع لها صوت. أمره: أحكم فتله.

[2] أيطلا ظبي: خاصرتا ظبي، لضمورها . تتفل: ولد الذّئب.

[3] الهاديات: طلائع الوحوش. جواحرها: المتخلّفات منها. في صرّة: في غبرة.

[4] حبي مكلّل: سحاب متراكم.

[5] ضارج: ماء بأرض طيء. العذيب: ماء قريب منه.

[6] قطن والسّتار يذبل: أسماء جبال.

وأضحى يسحّ الماء عن كلّ فيقةٍ يكبُّ على الأذقانِ دوحَ الكنهبلِ[1]

ومرّ على القُنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كلّ موئل[2]

وتيماءُ لم يترك بها جذع نخلةٍ ولا أطماً إلا مُشيّداً بجندل[3]

كأنّ أبانا في أفانين ودقه كبير أناسٍ في بجادٍ مزمّلِ[4]

كأنّ سباعاً فيه غرقى عشيّة بأرجائه القصوى أنابيش عنصل[5]

وألقى بصحراء الغبيطِ بعاعه نزول اليمانيّ ذي العياب المُحمّل[6]

الدّراسة التّطبيقيّة:

لعلّ قراءة نحويّة بلاغيّة لهذه الأبيات تُسهم إلى حدّ ما في توليد دلالات ومعاني لها، فبالنّظر إلى التّفاعلات السّياقيّة فيما بين الدّوال بعضها ببعض، يمكننا أن نقف على انزياحات شعريّة من خلال كيفيّة تمظهر المستوى التّركيبيّ، وعلاقات الإسناد بين المُسند والمُسند إليه، لنرى أنّ الانزياح النّحويّ أو لوي عنق النّصّ يُسهم في توليد الشّاعريّة، وتفتيق دلالات النّصّ، شرط أن تكون وراء هذه المخالفة قيمة فنّيّة وجماليّة.

[1] الغيقة: الفترة. الكنهبل: شجر عظام.

[2] القنان: جبل القنان. العصم: الأوعال.

[3] تيماء: مدينة معروفة بأرض الحجاز. الأطم: الحصن المُشيّد. بجندل: مبنيّ من الحجارة.

[4] أبان: جبل. بجاد: الكساء المخطّط. مزمّل: ملتفّ.

[5] أنابيش عنصل: أصول العنصل هو البصل البريّ.

[6] بعاعه: ثقله.

والانزياحات التّركيبيّة في الفنّ الشّعريّ أكثر ما تتمثل في ظاهرة التّقديم والتّأخير، وهذا ما سنقف عليه في أثناء دراستنا التّطبيقيّة هذه على أبيات من مشهدي الليل والخيل، لامرئ القيس،

بدلالتيهما: الليل/ الانكسار، الخيل/ الحركة والحياة.

إنّ الأبيات الخمس الأولى تبادرنا بمشهد الليل عند امرئ القيس، عاكساً حالته النّفسيّة، فغدت مقهورة، كئيبة، مسلوبة الإرادة، غير قابضة على الزّمن، موحية لنا بمشاعر القلق إزاء هذا الزّمن، ونرى أنّ الانزياح التّركيبيّ المتمثّل في التّقديم والتّأخير، قد أدّى دوره السّياقيّ في رسم هذا المشهد من خلال توظيف دواعيه وأغراضه، فظهر ذلك واضحاً في عملنا على بنية النّصّ.

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فجملة (أرخى سدوله) الخبر المسند قد أدّت إلى زرع شيء من الرّوع في نفوسنا في أثناء الخطاب الشّعريّ، فضلاً عمّا لعبته استعارة السّتور لهذا الليل في رسم عنوان له، عاكسة بذلك نفسيّة امرئ القيس، وقوله (عليّ) وتقديمها في السّياق عملت على توضيح حالته، وما لعب هذا التّقديم من دور في دفع المُتلقّي إلى الإحساس بمعاناة الشّاعر، وجعله يعيش في حالة نفسيّة ومعرفيّة تمكّنه من الغوص أكثر في تفصيلات هذا اللّيل، وتجلّياته الرهيبة في ذات الشاعر.

فقلت له: لمّا تمطّى بصلبه وأردف إعجازاً ونـاء بكلكلِ

ألا أيّها الليل الطّويل ألا انجلِ بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثلِ

فقوله: (لمّا تمطّى بصلبه، وأردف إعجازاً، وناء بكلكل) فيه تقديم، كون ذكره أهمّ؛ لتوضيح حالة المُتكلَّم عليه، فالعناية به أتمّ، وذكره أهمّ، فكان التّقديم رادفاً قويّاً مع تصويره امرئ القيس لرسم التّعبير المُراد، فكأنّ التّقديم لأهمّيّته أوحى بقوّة التّركيب،

وأسّس للحوار الذي أقامه الشّاعر مع هذا الليل (فقلت له... ألا أيّها الليل الطّويل)، بعد أن جرّد من الليل صورة كائن حيّ، ولعلّه البعير، وألبسه حلّة الاستعارة في شطر الحوار الأوّل، وما أتبعه برجاء مجيء النّهار، لكنّه ليس أفضل حالاً، فزمان الشّاعر منفتح على الحزن والهموم، بدلالة طول ٱلليل، وعدم كون النّهار أحسن منه حالاً ومآلاً.

فيا لك من ليلٍ كأنّ نجومه بكلّ مغار الفتل شُدّت بيذبلِ

ونجوم هذا الليل قد شدّت، فنرى الشّاعر قد عُني بالجانب التّصويريّ، فهو يُشبّه نجوم هذا الليل الطّويل، وكأنّها قد شُدّت بحبال قويّة، مُحكمة الفتل إلى جبل يذبل، وما شحذ من عظمة هذه الصّورة، والموقف تأخير المسند (شُدّت) وتموضعه السّياقيّ داخل التّركيب التّراصفيّ، ما أسهم إلى حدّ كبير في إظهار عظمة هذا الموقف، وإدخال الرّوع في نفس السّامع، فضلاً عن تمكينه المعنى، وعدم الإخلال به، كما أسهم في تصوير حجم الثّقل النّفسيّ والمعنويّ الذي يرخيه هذا اللّيل بكلّ ظلامه ووحشته على ذات الشّاعر.

كأنّ الثّريا عُلّقت في مصابها بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمّ جندلِ

ويمكّن الشّاعر لمعناه المُراد في رسم مشهد الليل هذا بتأخير الفعل (علّقت)، وتمظهره في سياق تركيبيّ، أوحى لنا بقوّةٍ وتركيب في أداء المعنى المُراد إلى جانب صورة التّشبيه التي أتى بها امرؤ القيس، فكأنّ هذه الثّريا ثابتة في مقامها لا تبرحه، وكأنّها فرس ربط إلى مقامه لا يبرحه، فشدّ الشّاعر الثريا شدّاً محكماً إلى الصّخور الضّخمة بأمراس كتّان قويّة متينة.

إذاً، نرى الشّاعر من خلال هذه الأبيات قد اعتنى عناية فائقة بالجانب التّصويريّ، إضافة إلى ما أدّته ظاهرة التّقديم والتّأخير من دور في خدمة هذه الصّور، فكنّا من خلال هذه الأبيات لمشهد الليل أمام انزياحات تركيبيّة حملت أثراً واضحاً في

شعريّة تلك الأبيات، وما تولّد عنها من دلالات تجسّدت في التّقديم والتّأخير في هذا النّصّ الشّعريّ المُنتقى؛ ليتبدّى لنا امرؤ القيس بعد ذلك مُستلَب الإرادة، مُقيّداً، مُكبّلاً، عاجزاً عن الحركة والفعل.

إنّ امرأ القيس في رسمه مشهد الخيل، ووصفه له، يُعطي فرسه صفات غير عادية، ويخلع عليه طاقات غير مألوفة، فينظر إلى فرسه عن طريق العامل الحسّيّ الذي يدفعه إلى تصوير هذا المشهد، خالعاً عليه إنسانيّته التي تتطلّب منه ربط الصّورة الشّعريّة بالأحاسيس، وهذه الصّورة القويّة الجزلة –في جانب منها– تتبدّى من خلال الانزياحات التّركيبيّة، والعلاقات فيما بين الرُّتب المحفوظة.

وقد أغتدي والطّير في وُكناتها بمنجردٍ قيد الأوابد هيكلِ

إنّ الشّاعر يلتفت إلى حصانه غداة انطلاقه إلى غزواته، ويصفه لنا بأنّه قصير الشّعر، طويل الجسم، ونرى الشّاعر يوظّف تقديمه الجملة الحاليّة (والطّير في وكناتها)؛ لإظهار حال المشهد، ورفع المستوى التّصويريّ للحدث، وجعل القارئ في جوّ الحدث يتخيّل عناصره وشخصيّاته وأحداثه، ليصل به إلى رسم المشهد بوصفه كلّاً منسجماً.

مكرٍّ مفرٍّ مُقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمودِ صخرٍ حطّه السّيل من علِ

كُميتٍ يزلّ اللّبد عن حال متنه كما زلّت الصّفواء بالمُتنزّل

والشّاعر يصف حال فرسه بطريقة متناغمة متّحدة اللفظ والمعنى، فكان تقديمه الصّفات (مكرّ، مفرّ، مقبل، مدبر، كميتٍ) في خدمة بناء حركيّة فرسه، فكان تقديمه لحركة الفرس أهمّ وأتمّ، ولعلّها كانت ماثلة دائماً في خاطر امرئ القيس، فضلاً عن عدم ثبات اللّبد عن ظهر حصانه، فالصّورة الشّعريّة التي رسمناها لم تكن أحاديّة الجانب، لولا التّركيب الذي لعب دوراً في جماليّتها وفنّيّتها.

علــى العقــب جيّــاشٌ كــأنّ اهتزامــهُ إذا جــاش فيــه حميــه غلــي مرجــل

نجد الشّاعر هنا يقدّم الشّرط لإظهار أهمّيّته في هذا الموقع، ذلك أنّ الاهتزام يكون على مرجل شرط أن يجيش فيه حميّه، ولن يكون كذلك إذا لم يتحقّق هذا الشّرط.

فالتّقديم لا مناص منه؛ لأنّه شرط وقوع الحدث، فكانت الصّورة الشّعريّة المتولّدة عنه حاضرة لنا في كون الفرس يغلي غليان القدر، ممتلئاً نشاطاً، حقّقته لنا الأنساق التّصويريّة والتّركيبيّة معاً.

مسحٌ إذا مـا السّـابحات علـى الـونى أثــرنَ غبــاراً بالكديــدِ المُركّــل

دريــرٍ كخــذروفِ الوليــد أمــرّهُ تقلّــب كفّيــه بخــيط موصّــل

ونجد الشّاعر نظراً لرغبته في إبراز سرعة فرسه، يُقدّم صفاته التي تشي بكثرة العدو، وسرعة الجريان (مسحٌ، درير)، فسرعة فرسه لا تغيب عن خاطر الشّاعر، فكان تقديمه لصفات تشي بانصباب الجري (مسحٌ) جاء مناسباً مع التّشبيه المذكور (كخذروف)، فهو يُشبّهه بدوران خذروف الوليد، فكان تقديم صفات الجري لفرسه، وما حمّلها الشّاعر من تشبيه، أهمّ وأبلغ في توصيل المعنى.

لــه أيطــلا ظبــي وســاقا نعامــةٍ وإرخــاء ســرحان، وتقريــبُ تتفــلِ

وهنا نقف في قول الشّاعر (له أيطلا ظبي) على تقديم وتأخير، فالتّقديم تمثّل في شبه جملة، فكانت متعلّقة بخبر مقدّم محذوف، والتّأخير تمثّل بالمبتدأ المُؤخّر، فنلحظ من خلال هذا التّغيّر على مستوى الجملة أنّه لم يخلّ بالمعنى، بل على العكس تماماً، كان لا بدّ من تقدّم شبه الجملة (الجار والمجرور) على المبتدأ (أيطلا)؛ لأنّه لا مجال هنا إلا للتّقديم، فضلاً عن رغبة الشّاعر في التّخصيص والاهتمام بموصوفه الذي تبدّى

لنا أنّ خاصرتاه غير منتفختين، وأنّه كساقي النّعامة في صلابتهما، وكسرعة الذّئب وجري ولده.

ضليعٌ إذا ما استدبرته سدّ فرجهُ بضافٍ فُويقَ الأرضِ ليس بأعزلِ

فالشّاعر يخبرنا هنا أنّه إذا ما نظرت إليه من مؤخّرته رأيته عظيم الأضلاع بقوله: (ضليع)، وتقديمه هذا الخبر –الذي حذف مبتدأه– يحمل غرضاً لعلّه تمثّل في رغبة الشّاعر الواضحة في تقديم صورة جسده القويّ الأضلاع، فكان التّقديم للعناية والأهمّيّة.

فعنّ لنا سربٌ كأنّ نعاجه عذارى دوار في ملاءٍ مذيّل

ويأتي لنا امرؤ القيس بتركيب أوحى لنا بشيء من التّخصيص بتقديمه (لنا) وتأخيره (سربٌ)، فكان التّقديم للفت انتباه المخاطَب، وتأخير المُسند إليه الفاعل (سرب) عن فعله، كان لزيادة تمكين المعنى؛ ليستكمل معنى هذا التّمكين من خلال تشبيه قطيع البقر بالمترهّبات ذوات الثياب الطّويلة، فالتّقديم والتّأخير هنا عكس جماليّة الأسلوب في أثناء نقل الفكرة، وخلق الصّورة.

فأدبرنَ كالجزع المفصّل بينه بجيدٍ معمّ في العشيرة مخول

ونلحظ الشّاعر هنا قد عني ببيان أهمّيّة صورته التي يريد رسمها لنا، فأقام علاقة قائمة على تقديم التّركيب (كالجزع)، نظراً للأهمّيّة في بناء المعنى، من خلال التّركيب الذي يحرص الشّاعر على إبلاغنا عنه.

فألحقنا بالهاديات ودونه جواحرها في صرّة لم تزيّل

فظلّ طهاة الحيّ من بين منصح صفيف شواء أو قدير معجّل

وكذلك نرى في تقديمه (بالهاديات)، فليس هذا من باب اختلال التّركيب، وترتيب المفردات في الصّيغ، وإنّما يحمل داعياً لذلك، متمثّلاً بالتّخصيص لذكر الهاديات، فلا مانع معنويّ في ذلك، بل أعطى هذا التّقديم حيويّة في نقل وحمل الدّلالة المُرادة على سرعة فرسه، وكذلك الأمر في التّركيب (من بين منصح).

فعادى عداءً بين ثور ونعجه دراكاً ولم ينضح بماءٍ فيغسل

والشّاعر هنا أيضاً يريد أن يُظهر سرعة فرسه، وكيفيّة عدوه، فهو دراك، ولكن المُتلقّي لن يتّضح في ذهنه المشهد، أي كيفيّة هذا الدّراك، ما لم يوضح له الشّاعر بدقّة، فدراكه هذا ليس كالثّور، ولا كالنّعجة ولكن بينهما، وهنا أصبح بإمكان المُتلقّي أن يتخيّل هذا الدّراك، ولعلّ الغرض البلاغيّ في التّقديم هنا هو ردّ الخطأ في التّعيين، وطرح الشّكّ من ذهن المُتلقّي.

كأنّ دماء الهاديات بنحره عصارة حنّاء بشيب مرجّل

ويستمرّ الشّاعر في حديثه عن سرعة فرسه، ويدعّم دلالاته المُرادة ليبلغ شعريّة في التّراكيب من خلال تقديم شبه الجملة (بنحره)؛ فكان التّقديم هنا للأهمّيّة والعناية بإيصال الفكرة، ورسم الصّورة؛ إذ يقول: إنّه يُدرك مقدّمة الطّرائد الهاربة، ويُقيّدها فما تطعن طريدة حتّى يصبغ نحره بدمائها، فيظهر

شعره المُلطّخ بدماء الهاديات، كأنّه شعر مُسرّح أشيب، صبغ بعصارة الحنّاء[1].

وبات عليه سرجهُ ولجامهُ وبت بعيني قائماً غير مُرسل

وهنا يعرض الشّاعر لتقديم تمثّل في شبه الجملة (عليه)، و (بعينيّ)، فبقوله: (عليه) تقديم لتوضيح حالة المُخاطَب وهيئته؛ أي هيئة فرسه، وقوله (بعيني) تقدين

[1] يُنظر: أبو يحيى، د. أحمد إسماعيل. الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين، ص122-123.

لتوضيح تأثّر المُتكلّم بمشهد فرسه، فحالة المُخاطَب التي أراد الشّاعر الإبلاغ عنها كانت تدلّ على أنّه غير مرسل.

أصـاح تـرى برقـاً أريـك وميضـه كلمـع اليـدين فـي حبـي مكلّـل

ونرى الشّاعر هنا يحرص على نقل وتوضيح دلالته، فقوله: (أريك وميضه) كانت لردّ الخطأ في التّعيين، وإبعاد الملل عن القارئ، من خلال توقّعات للصّورة السّليمة للمشهد والتي قد يلتقطها بدقّة، فالبرق كلمع اليدين، ولكن الشّاعر أحسّ بأنّ تقديمه لهذه الجملة هو أمكن في ذهن القارئ، فهو سوف يري المُخاطَب وميض هذا البرق، كي لا يتخيّل شيئاً آخر غير ما أراده.

والشّاعر هنا خصّص دلالته، إذ إنّ المفردات في جملها لا تزال تؤدّي دوراً في عرض الغرض، والوصول إلى بلاغته مع الصّور القائمة على التّشبيه.

قعـدتُ وأصـحابي لـه بـين ضـارج وبـين العـذيب بعـد مـا متـأمّلي

يتّضح لنا في هذا التّركيب (قعدت له) إظهار أهمّيّة هذا المخاطَب (الفرس) الذي ضحّى الشّاعر من أجله، فكان هذا التّركيب انعكاساً لمكانته عند الشّاعر.

عـلا قطنـاً بالشّـيم أيمـن صـوبه وأيسـره علـى السّـتار فيـذبلِ

ويروى هذا البيت:

وألقـى ببيسـان مـع اللّيـل بركـه فـأنزل منـه العصم مـن كلّ منـزلِ

فعلى رواية (علا قطناً) نقف في هذا التّركيب على تخصيص، وتمكين للمعنى، وإظهار دور المبتدأ المؤخّر.

وعلى رواية (وألقى ببيسان) كان لتعجيل المشهد وإعطائه صيغة حركيّة متنامية تدفع إلى التّشويق، وقوله (منه) يشي بإظهار أهمّيّة المُتقدِّم؛ أي الفرس، وإقناع المُتلقّي.

وأضحى يسحّ الماء عن كلّ فيقةٍ يكبُّ على الأذقانِ دوحَ الكنهبلِ

وتيماءُ لم يترك بها جذع نخلةٍ ولا أطمَا إلا مُشيّداً بجندل

كذلك نرى في قوله (على الأذقان) سعياً منه لإضافة عنصر التّصوير الحركيّ، فضلاً عن رغبته في زيادة التّخصيص، فهو يقتلع الأشجار العظام من أصولها؛ لشدّة هيجانه، ويُؤكّد دوره القويّ في الإزالة، بتقديمه (بها)، فهو لم يترك جذع نخلة، فهو يقدّم شبه الجملة لإظهار تهشيمها أمام قدرته العظيمة، فضلاً عن إدخال الرّوع في نفس السّامع.

كأنّ أبانا في أفانين ودقه كبير أناسٍ في بجادٍ مزمّلِ

ونجد الشّاعر يأتي بتخصيص للمكان (في أفانين ودقه) من خلال تقديم هذا التّركيب، فهو كبير أناس لكن أين؟، هو ليس كبير أناس في كلّ زمان ومكان، بل هو كبير أناس في مكان محدّد، والشّاعر يقدّم المكان لدفع التّوهّم بالتّعظيم عن القارئ.

كأنّ سباعاً فيه غرقى عشيّة بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

نجد الشّاعر يدخل الرّوع في نفس السّامع، بتقديمه شبه الجملة (فيه)، وقوله (بأرجائه) كان لتمكين دور المبتدأ؛ لذا تقدّم عليه خبره، شبه الجملة.

وألقى بصحراء الغبيطِ بعاعه نزول اليمانيّ ذي العياب المُحمّل

نرى الشّاعر يخصّص المكان بتقديم ذكره (بصحراء الغبيط)، مُحاولاً إضفاء صبغة من الواقعيّة والصّدق على المشهد، وإبراز أهمّيّته، فكان ذكر المكان أهمّ، والعناية به أتمّ.

وبناء على ما سبق نقول: إنّ الانزياح التّركيبيّ في هذه الأبيات قد أسهم في توليد شعريّة ما بين مفرداتها، فكان بمنزلة إضافة واضحة للصّور للوصول إلى الدّلالة،

وكان ذلك من خلال علاقات الإسناد، والنّظر إلى مواقع الرّتب المحفوظة، كلّ ذلك أسهم في رسم الحزن في مشهد الليل، ورسم الحركة والحياة في مشهد الخيل.

الخاتمة:

وحتّى لا نضيع بين الحقيقة والمحال، فهاكم خلاصة المقال: إنّ للتّقديم والتّأخير أهمّيّة كبرى في دراسة التّركيب العربيّ، وأنّه نوع من المُتغيّرات الأسلوبيّة على مستوى الجملة، كما أنّه مبحث حيويّ جماليّ؛ ذلك أنّه يسمح ببثّ الحيويّة من غير موانع معنويّة؛ أي أن يمتلك المتكلّم حرّيّة في تغيير مواضع الكلمات داخل السّياق، أو ما يُسمّى بالانزياح التّركيبيّ، وقد راعى النّحاة والبلاغيّون العرب مصطلح (الرّتب المحفوظة)، فهم لم يقدّموا ويؤخّروا اعتباطيّاً، بل كان ذلك وفقاً لأسس ومعايير محدّدة، كلّ ذلك أسهم في إثبات أنّ اللغة العربيّة تمتلك حيويّة أخّاذة في تعاملها مع القواعد اللغويّة، وما نتج عن ذلك من بلاغة على مستوى الجملة النّحويّة.

وبتناولنا الجانب التّطبيقيّ، من خلال أبيات امرئ القيس، نخلص إلى أنّ الانزياحات التّركيبيّة كثيراً ما تمثّلت في التّقديم والتّأخير، فكانت الانزياحات في الأبيات ناتجة من خلال طريقة الرّبط بين الدّوال بعضها ببعض، فكان امرؤ القيس أمام متّسع من أشكال التّعامل مع اللغة من دون إخلال بالدّلالة، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ استعمال امرئ القيس لهذا النّوع من الانزياحات لم يكن ليحقّق شاعريّة لولا ما حمله هذا الانزياح من قيم فنّيّة وجماليّة، تجلّت من خلال أغراض التّقديم والتّأخير ودواعيهما، وآليّة توظيفهما في مواضعهما، فلا نكاد نقف في مشهدي اللّيل والخيل على خللٍ في النّظم، وعلاقات الإسناد، أو نشعر بضعف في أداء المعنى.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- الجرجاني، عبد القاهر (2004م). **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط5.

2- العاكوب، د. عيسى (2000م). **المفصّل في علوم البلاغة العربيّة المعاني – البيان – البديع**، منشورات جامعة حلب، د.ط.

3- عتيق، د. عبد العزيز (د.ت). **علم المعاني البيان البديع**، منشورات جامعة حلب، د.ط.

4- القزويني، الخطيب جلال الدّين (1995م). **الإيضاح في علوم البلاغة**، تح: جماعة من علماء الأزهر الشّريف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4.

5- امرؤ القيس (2004م). **ديوان امرئ القيس**، ضبطه وصحّحه الأستاذ مصطفى عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط5.

6- مطلوب، د. أحمد (2000م). **معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، د.ط.

7- ابن منظور (2003م). **لسان العرب**، دار الحديث، القاهرة-مصر، د.ط.

8- الهاشمي، د. أحمد (1980م). **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصريّة، بيروت-لبنان، ط5.

9- وهبة، مجدي؛ المهندس، كامل (1974م). **معجم مصطلحات الأدب**، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، د.ط.

10- ويس، د. أحمد (2005م) . **الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة**، مؤسّسة مجد، بيروت–لبنان، ط1.

11- أبو يحيى، د. أحمد إسماعيل (1997م). **الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين**، المكتبة العصريّة، بيروت–لبنان، ط1.